

جامعة الإسكندرية
كلية الفنون الجميلة
قسم التصوير

الضوء في التصوير الهولندي في عصر الباروك

The Light in Dutch Painting during Baroque period

رسالة مقدمة من الباحثة
أسماء حمدي حلمي محمد عبد الكريم
معيدة بقسم التصوير
للحصول على درجة الماجستير في الفنون الجميلة – تخصص تصوير (شعبة عام)

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور / عبد السلام عيد
أستاذ غير متفرغ بقسم التصوير ورئيس القسم سابقاً
دكتورة / نيفين الرفاعي
مدرس بقسم التصوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ"

صدق الله العظيم

* سورة الأنعام



شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل أن وفقني في إتمام هذا البحث , ويسر لي كل السبل التي تعينني عليه , وأتقدم بوافر الشكر لكل من قدم لي يد المساعدة في إخراجه وأخص بالشكر أستاذي الفاضل :
الأستاذ الدكتور / عبد السلام عيد استاذ التصوير بكلية الفنون الجميلة وكذلك
الدكتورة / نيفين الرفاعي المدرس بقسم التصوير
على تفضلهما بالإشراف على هذا البحث وتقديم التوجيهات العلمية القيمة التي
ساعدت على إتمامه .

والحمد لله رب

العالمين

الباحثة

إهداء

أهدي هذا البحث إلى الرجل العظيم الذي وقف بجانبني طوال الوقت ؛ وهو أبي وأستاذي حمدي عبد الكريم لأنه المُعين الأساسي لي بعد الله عز وجل على توجيهاته وإرشاداته وتحميسي في إنجاز البحث , ولا أنسى أبداً أمي وزوجي الذين منحوني المساعدة والصبر في إتمام البحث , كما أهديه لكل من أراد العلم والمعرفة عن فن الضوء بقيمه الجمالية والفنية في تلك الفترة .

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة.....	أ
<u>الباب الأول : مدخل الى عصر الباروك</u>	١
<u>الفصل الأول : من عصر النهضة الإيطالي إلى الباروك</u>	٢
- خلفية فنية	٣
- التحولات الفكرية التي حدثت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في أوروبا	٥
- الملامح والأفكار التي مهدت للقرن السادس عشر	١١
- خاتمة لعصر النهضة	١٢
<u>الفصل الثاني : المتغيرات التي جدت على الحياه في عصر الباروك</u>	١٥
- الضوء في القرن السابع عشر.....	١٦
- معنى الباروك	١٦
- سمات عصر الباروك وكيف أثرت على الفن التشكيلي	١٧
- تاريخ الباروك	٢٠
- عوامل ازدهار فن الباروك	٢٠
- خصائص فن الباروك	٢١
- القيمة الحركية للمكان في فن الباروك	٢٢
- نظرة عصر الباروك إلى العالم وأثرها في تناول المكان	٢٣
- تصوير عصر الباروك	٢٤
- التأسيس.....	٢٤
- رواد المدرسة الباروكية	٢٥
<u>الباب الثاني : القيم التعبيرية والرمزية للضوء وفن التصوير الهولندي</u>	٤٢
<u>الفصل الأول : دراما الضوء</u>	٤٤
- مقدمة	٤٥
- عالم الضوء.....	٤٦
- الفرق بين كلمة الضوء وكلمة النور	٤٧
- خصائص كل من الضوء والنور	٤٨
- أول إضاءة تعبيرية	٥٠
- طبقة النور (سقف الأرض)	٥٠
- الفرق بين تأثير كل من الضوء والنور	٥٢

٥٣	- تأثير لغة الضوء على الإنسان
٥٣	- الهدف من دراسة القيم التشكيلية والدرامية للضوء في العمل الفني
٥٤	- نظرة فنانون الغرب وفنانون الشرق في عنصرى الظل و النور
٥٤	- الضوء التشكيلي
٥٥	- الهيئة الفيزيائية للضوء التشكيلي
٥٥	- مصادر الضوء التشكيلي
٥٥	- نوعية الضوء
٥٧	- أنواع الضوء التشكيلي
٥٨	- الهيئة النفسية للضوء التشكيلي
٥٨	- اتجاه الضوء التشكيلي
٦١	- كمية الضوء وأثرها في تكوين الظلال
٦٢	- أنواع الظلال
٦٣	- حدة ونعومة الظل
٦٣	- شكل وحجم الظل
٦٤	- آثار الظلال الحقيقية
٦٦	- وظائف الظلال
٦٧	- الإضاءة والظلال
٦٨	- الرمزية الكامنة في الإضاءة والظلال
٧٠	- الغايات الفنية التي تحققها الإضاءة في الفنون

٧٤ الفصل الثانى :التصوير الهولندي

٧٥	- مقدمة (فن الأراضي الواطئة)
٧٦	- تأثير الحروب الدينية و المنازعات السياسية على الفن الهولندي
٧٧	- طبيعة الموضوعات الهولندية مع بدايات القرن السابع عشر
٧٨	- أساليب الفن الهولندي
٨٠	- التصوير الهولندي
٨٣	- الحياة والأدب في هولندا
٨٧	- الفنون الهولندية

٩٦ الباب الثالث: الضوء عند نماذج مختارة من مصوري هولندا فى عصر الباروك

٩٧	- مقدمة
----	---------------

٩٩ الفصل الأول : الضوء عند بعض الأساتذة الصغار

١٠٠	- الضوء عند جاكوب فان رويسدال Jacob Van Ruisdael
١٠٢	- الضوء عند ميندرت هوببما Meynndert Hobbema
١٠٣	- الضوء عند بيتر دي هوتش Pieter Hooch
١١٠	- الضوء عند جوديث ليستر Judith Leyster
١١٣	- الضوء عند جان ستين Jan Steen

- ١١٦ - الضوء عند رمبراندت
- ١٤٧ - الضوء عند فيرمير
- ١٧٨ - الضوء عند فرانس هالز
- ١٨٩ النتائج و التوصيات
- ١٩٠ مراجع البحث
- ١٩٣ ملخص البحث باللغة العربية
- ١٩٧ ملخص البحث باللغة الإنجليزية

فهرست الأشكال

الرقم	اسم الفنان	بيانات الأشكال	الصفحة
١	فريدريك بوريك	Aeneas flees burning Troy أينيس يهرب من الحرق - ١٥٩٨	١٣
٢	ليوناردو دافنشي	العشاء الأخير رسم على حائط غرفة الطعام في الدير الملحق بكنيسة " سانتا ماريا ديلا غرازي" - ١٤٩٨	١٤
٣	فان دايك	بورتريه الملك تشارلس الأول "ملك انجلترا" - زيت على قماش - ١٦٣٥ - كاليفورنيا.. متحف اللوفر	١٤
٤	رمبراندت فان رين	صورة شخصية في سن مبكر - زيت على توال - ١٨,٧ × ٢٢,٦ سم ١٦٢٨ - أمستردام - هولندا	٢٩
٥	فرانس هالس	سانت مارك (تفصيلية) زيت على قماش - ٥٢,٥ × ٦٨,٥ سم - معرض Colnaghi - ميونيخ	٢٩
٦	فان دايك	صورة شخصية صورة شخصية - ١٦٢٠ - زيت على خشب - ٣٢,٥ × ٣٧,٥ سم - المتحف الوطني - لندن .	٣٠
٧	دييغو فيلاسكيز	صورة شخصية - كاليفورنيا - ١٦٤٣	٣٠
٨	رمبراندت	فيلسوف يتأمل - ١٦٣٢	٣١
٩	فيرمير	منظر طبيعي لدلفت - كاليفورنيا - ١٦٦٠-١٦٦١	٣١
١٠	مايكل أنجلو	أطفال يلعبون الزهر	٣٢
١١	تيتيان	صورة شخصية - ١٥٣٣	٣٢
١٢	رافاييل	مدرسة أثينا - تصوير جصي - (١٥٠٩ - ١٥١٠) أبعادها ٥٠٠ * ٧٧٠ سم - الفاتيكان قصر أبوستوليك	٣٣
١٣	أنطونيو دي كوريجيو	مريم والطفل يسوع - (١٥١٨ - ١٥٢٠)	٣٣
١٤	جوهانس فيرمير	تفصيلية الفتاة ذات القبعة الحمراء - ١٦٦٥ - زيت على قماش - ٢٢,٨ × ١٨ سم - المتحف الوطني للفنون - واشنطن (تفصيلية)	٣٤
١٥	رمبراندت	تفصيلية الحرس الليلي - ١٦٤٢ - زيت على قماش - أمستردام - هولندا	٣٤
١٦	للفنان الإسباني دييغو فيلاسكيز	وصيقات الشرف وصيقات الشرف - ١٦٥٦ - زيت على قماش - متحف برادو	٣٥
١٧	جان لورينزو برنيني	كنيسة سانت أندريا آل كوريناله	٣٥

١٨		قصر فرساي بفرنسا " من الخارج " - قصر ريفي لملك فرنسا .	٣٦
١٩		قصر فرساي بفرنسا - من الداخل	٣٦
٢٠	فرانيسكو بوروميني	مبنى كنيسة القديس كارلو ذات النافورات الأربع بروما - (١٥٩٩-١٦٦٧) صممه المعماري فرانيسكو بوروميني -	٣٧
٢١	جان فيرمير	وازنة الذهب (تفصيلية) (١٦٦٢-١٦٦٤)	٣٧
٢٢	بيتر بول روبنس	طبريا	٣٨
٢٣	فرانس هالس	حانة الطريق المنحدر مع محبوبته - ١٦٢٣	٣٨
٢٤	أنطوان فان ديك	صورة لأدور نو دورانو كاتيرينا - (١٦٢١-١٦٢٢)	٣٩
٢٥	كارافاجيو	Aral do دي لوكا - ١٦٠٠	٣٩
٢٦	لويس لو نائين	وجبه والفلاحين - ١٦٤٢	٤٠
٢٧	رمبراندت فان رين	" تفصيلية " عجوز في الصلاة - (١٦٢٩-١٦٣٠) - كاليفورنيا	٤٠
٢٨	جيان لورنزو برنيني	صورة لشاب - ١٦٢٥	٤١
٢٩	جاكوب جوردانز	" نخب الملك " - متحف تاريخ الفنون بفيينا	٤١
٣٠ أ	كلود مونييه	كاتدرائية روان	٩٠
٣٠ ب	كلود مونييه	كاتدرائية روان	٩٠
٣١	ليوناردو دافنشي	الجيوكاندا (السيدة ليزا)	٩١
٣٢	رمبرانت	العشاء في عاموس "تفصيلية"	٩١
٣٣	فيرمير	الفلكي (تفصيلية)	٩٢
٣٤	فيرمير	قراءة الخطاب (تفصيل)	٩٣
٣٥	فيرمير	درس الموسيقى "تفصيلية"	٩٤
٣٦	السيدة العجوز ووعاء الطهو	روبنز	٩٥
٣٧	جاكوب فان روبسدال	طاحونة هواء في ويجك عند ديرستيد - ١٦٧٠	١٠٠
٣٨	ميندريت هوبما	طريق ميدلهارينز المشجر - ١٦٨٩	١٠٢
٣٩	بيتر دي هوتش	فتاة تقرأ رسالة - ١٦٦٤ - زيت على قماش - متحف الفنون الجميلة - بودابست ، المجر	١٠٤
٤٠	بيتر دي هوتش	بطاقة الملاعبين في غرفة مضاعة بنور الشمس - ١٦٥٨ - زيت على قماش	١٠٥
٤١	بيتر دي هوتش	سيده تفشر تفاحاً زيت على قماش - ١٦٦٣ - مجموعة والاس - لندن	١٠٦
٤٢	بيتر دي هوتش	حفلة موسيقية في فناء - ١٦٧٧	١٠٧
٤٣	بيتر دي هوتش	زوجان يمشوا في قاعة المواطنين - (١٦٦٣-١٦٦٥) - أمستردام تاون هول - زيت على قماش - متحف الفنون الجميلة دي ستراسبورغ	١٠٨
٤٤	بيتر دي هوتش	الزوجان مع البغاء - زيت على قماش - ١٦٦٨	١٠٩
٤٥	جوديث ليستر	عازف الفلوت - ١٦٣٥	١١٠

٤٦	جوديث ليستر	صورة شخصية - ٦٥,٣ × ٧٢ سم - ١٦٣٠ - المتحف الوطني للفنون - واشنطن	١١١
٤٧	جوديث ليستر	رجل يقدم المال لامرأة شابة - ١٦٣٥ - (٢٤ × ٣١ سم) - زيت على قماش - لاهاي	١١٢
٤٨	جان ستين	عيد القديس نيكولاس - ١٦٦٠ - (٨٢ × ٧٠ سم) - متحف ريجكس، أمستردام ، هولندا	١١٣
٤٩	رمبراندت	تفصيلية من بورتريه للفنان في سن الثالثة والستين - ١٦٦٩	١١٦
٥٠	رمبراندت	الفيلسوف المتأمل - ١٦٣٢ - زيت على قماش ٢٩ × ٣٣ سم - متحف اللوفر بباريس	١٣٣
٥١	رمبراندت	عيد التجلي في المعبد أو تقدمه يسوع الطفل إلى الهيكل - ١٦٢٨	١٣٤
٥٢	رمبراندت	الفيلسوف أمام كتابه المفتوح - ١٦٣٣	١٣٥
٥٣	رمبراندت	الشيخ الجالس مستغرقا في تأملاته	١٣٦
٥٤	رمبراندت	طوبيت الضريح والد طوبيا	١٣٧
٥٥	رمبراندت	لوحة هوميروس - ١٦٥٣	١٣٨
٥٦	رمبراندت	بورتريه شخصي وهو في سن الثانية والخمسين	١٣٩
٥٧	رمبراندت	صوره شخصية - ١٦٦٠	١٤٠
٥٨	رمبراندت	" الدكتور تولب يلقي درس التشريح " ١٦٣٢ - زيت على قماش ١٦٩,٥ × ٢١٦,٥ سم لاهاي	١٤١
٥٩	رمبراندت	غارة الميليشيا أو غارة سرية الكابتن فرانز باننج كوك أوحارس الليل - ١٦٤٢ - زيت على قماش - ٣٦٣ × ٤٣٧ سم - متحف ريجكس - أمستردام	١٤٢
٦٠	رمبراندت	النبي أرميا يبكي دمار أورشليم - ١٦٣٠	١٤٣
٦١	رمبراندت	تايئوس في زيّ راهب للفنان الهولندي رمبراندت - ١٦٦٠	١٤٤
٦٢	رمبراندت	العشاء في عمواس - ١٦٤٨ - ألوان زيتية على توال ٦٥ × ٦٨ سم متحف اللوفر بباريس	١٤٥
٦٣	رمبراندت	بورتريه شخصي للفنان رمبراندت تفصيلية - ١٦٦١	١٤٦
٦٤	يوهانس فيرمير	الجغرافي - ١٦٦٨	١٦٢
٦٥	يوهانس فيرمير	الفلكي	١٦٣
٦٦	يوهانس فيرمير	فتاة تطالع رسالة أمام نافذة مفتوحة	١٦٤
٦٧	يوهانس فيرمير	الخادمة صاحبة الحليب - (١٦٥٨ - ١٦٦٠)	١٦٥

٦٨	يو هانس فيرمير	الفتاة ذات الرداء الأزرق- (١٦٦٢- ١٦٦٦) (١٦٦٣) (٣٩ × ٥٤ سم)- زيت علي القماش - متحف ريكس بأمستردام
٦٩	يو هانس فيرمير	" صانعة المخدرات " أو " الدانتلا "
٧٠	يو هانس فيرمير	" الشارع الصغير "
٧١	يو هانس فيرمير	" المصور في مرسمه " - متحف تاريخ الفنون بفينا
٧٢	يو هانس فيرمير	الفتاة ذات القوط اللؤلؤي - ١٦٦٥
٧٣	يو هانس فيرمير	سيدة تكتب خطاباً
٧٤	يو هانس فيرمير	وازنة الذهب
٧٥	يو هانس فيرمير	المسيح في بيت مارتا ومريم زيت على قماش (١٦٠ × ١٤٢ سم) - كاليفورنيا. ١٦٥٤ المتحف الوطني في اسكتلندا وادنبره
٧٦(أ)	يو هانس فيرمير	١٧٤
٧٦(ب)	يو هانس فيرمير	١٧٤ تفصيلية
٧٧	يو هانس فيرمير	١٧٥ امرأة شابة مع ابريق الماء (١٦٦٢) في متحف متروبوليتان للفنون في نيويورك.
٧٨	يو هانس فيرمير	١٧٦ الفتاة ذات القبعة الحمراء - ١٦٦٥- زيت على قماش - ٢٢،٨ × ١٨ سم المتحف الوطني للفنون واشنطن
٧٩	يو هانس فيرمير	١٧٧ سيدة تمسك خطاب
٨٠	فرانس هالز	١٨٢ الفارس الباسم - ١٦٢٤ ، زيت على قماش ، ٦٧ × ٨٣ سم ، مجموعة والاس ، لندن
٨١	فرانس هالز	١٨٣ البوهيمية - ١٦٢٨ - زيت على قماش ٥٢ × ٥٨ سم - متحف اللوفر بباريس - فرنسا
٨٢	فرانس هالز	١٨٤ مأدبة نقابة رماة سان جوريس - ١٦٣٣ (٢٠٧ × ٣٣٧ سم) - متحف فرانس هالز ، في هارلم
٨٣	فرانس هالز	١٨٤ مأدبة نقابة رماة سان جوريس - متحف فرانس هالز ، في هارلم
٨٤	فرانس هالز	١٨٥ " السكير المرح " - (١٦٢٤ - ١٦٢٧)
٨٥	فرانس هالز	١٨٥ مُهرج يعزف على المزهر - أمستردام
٨٦	فرانس هالز	١٨٦ القائمون على مستشفى سانت إليزابيث - ١٦٤١ - (١٥٣ × ٢٥٢ سم) ، زيت على قماش - كاليفورنيا أنتويرب
٨٧	فرانس هالز	١٨٧ " الفيلسوف رينيه ديكرت " - ١٦٤٨
٨٨	فرانس هالز	١٨٧ " موسيقيان يعزفان "
٨٩	فرانس هالز	١٨٨ صورة لرجل

المقدمة

لاشك أن عنصر الضوء يلعب دوراً هاماً في تشكيل العمل الفني المرئي , ويعتقد البعض أن وظيفته تغطية الفراغ كعنصر تصميم , وفي رأى هؤلاء , أنه مجرد بقع ضوئية لا هدف لها إلا مجرد إبهار المتلقي , بينما يرى آخرون أنه عنصر زخرفة , على أنه بالدراسة وُجد أنه قد تعدى كونه مساحات أو بقع وزخارف تسهم في تحقيق الشكل الجمالي , بل أنه وسيلة لتحقيق القيم التشكيلية والدرامية للعمل الفني , مما يدعم عملية الخلق والإبداع في إطار المنهج والتفسير المطروحين .

إن عنصر الضوء والظل قد اكتسبا عبر التاريخ الطويل للفن صفات أعم وأشمل , أسهمت في مجموعها إبراز العديد من الدلالات الدرامية التي يطرحها العمل الفني , فضلاً عن إضفاء القيم الجمالية الخاصة بالتكوين العام للصورة المرئية .

ولقد مر الضوء في مجال اللوحة التشكيلية , بتطورات عديدة , بدأت بكونه عنصراً من عناصر اللوحة , يتساوي في الأهمية مع باقي العناصر , ويتبع التكوين العام , وفي مراحل أخرى تصدر كل العناصر , وأصبحت هذه العناصر تابعة له , وبرغم ذلك لم تتشابه قواعد وأساليب تناول هذا العنصر , إذ بذل الفنان جهده ليضيف إلى من سبقوه .

لقد وقف الضوء يوماً يناضل وحده لإثبات وجوده , ثم تقاسم العمل الفني مع توأمه الظل , فأبرز الفنان كل المظاهر الناجمة عن سقوط الضوء على الأشياء , سواء ماينتج من ظلال , أو لتأكيد المعالم والملاحم .

ولغة الضوء اتفق عليها الإنسان , فالإحساس بالأمان في وجود الضوء والشعور بالخوف من ظلام الليل يعتبر أول إحساس نفسي لتأثير الضوء على الإنسان , وهو بذلك يعتبر أهم قاعدة في قانون لغة الضوء .

وللغة الضوء عناصرها مثلها مثل أى لغة ويستطيع المصور من خلال هذه العناصر تكوين جمل ضوئية لها قدرة التأثير في الإنسان وقدرة التعبير عن المعاني والأحاسيس ومن هنا يصبح الضوء لغة يستطيع استخدامها للتعبير عن ما هو في نفوسنا .

وفي القرن السابع عشر سمات عامة وخصائص أثرت في اتجاهات الفن التشكيلي , ووسعت من نطاق الرؤيا وأضافت إلى تجارب الإنسان في مضمار الفنون أشياء جديدة .

ففي هذا القرن أخذ الفرد كيانه كمحور للأشياء , وتركز البحث حول الإنسان , فأصبحت نظريات القانون تقرر حقه وترسي أسس حرياته , وأفكار الفلاسفة تتجه إليه , والكشوف العلمية تمضى من أجل تحقيق عالم أفضل للإنسان .

وكان الاعتقاد السائد في هذا العصر أن الأرض هي مركز الكون , وصاحب ذلك الاعتقاد أن الإنسان هو محور الأرض , فاتجه البحث عما هو حول الإنسان , ودار البحث حول الضوء , واكتشف المنظار الفلكي والميكروسكوب وغيرها , وأعقب بحوث جاليليو ما أحرزه نيوتن من نجاح عظيم في بحث مشكلة طبيعة الكون , وظهر كتابه " المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية " ثم كتابه " البصريات " ومباحثه حول ظاهرة الألوان وإعادة تركيبها .

وإذ تلقى نظرة عامة على فنون هذا العصر نرى إلى أى حد أثرت روحه على تعبيره الفني ، فالفرد كما كان محور للفلسفة والعلم ، كان أيضاً محور للفن ومن هنا كان العصر عصر الصورة الشخصية في تعبيراتها المختلفة التي تمثل سياحة الفنان في العوالم الخارجية والداخلية للإنسان ، ونرى ذلك في لوحات فرانز هالز ، كما نراها عند فيلاسكبيث ، ثم نتعمق الرؤيا الداخلية عند رمبراندت .

لقد كان ما يميز هذا العصر البحث الدائب حول الضوء والظل ، وعودة الفنان إلى الواقع وسياحاته في مجالات الطبيعة ، وبحثه عن التناسق المعبر وتنظيم الفراغ وتوازن حجوم الأشياء وانجذابها وارتباطها ، وهذه جميعاً من مشكلات العصر العلمية التي انعكست على الفنون ، وقدمت حلولاً مختلفة للنور واللون والزمن والفضاء من خلال العمل الفني .

كما تميز هذا العصر بالعناية بالمنظر الطبيعي ، وذلك بعد أن زادت قوة العلاقة بين الإنسان والطبيعة ، فلم يعد المنظر مكماً للموضوع ، وإنما أصبح منشوداً لذاته .

لقد أصبحت اللوحة في هذا العصر مسرحاً لالتقاء العديد من الاتجاهات والأساليب وتجميعها وصياغتها ، فلا نلمح في الأعمال الفنية تأثير فنان بعينه أو اتجاه واحد قدر ما نلمح مجموعة من التأثيرات جمعها الفنان وصاغها من جديد ، فمن خلال اللوحة الواحدة نرى أسلوب مايكل أنجلو في الرسم يلتقي بأسلوب تيسيان في معالجة الألوان ونرى طريقة رافاييل في التكوين تجتمع مع ألوان كوريجيو .

وفضلاً عن ذلك تنتصر النظرة التصويرية في اللوحة على الاتجاه النحتي ، فمصور القرن السابع عشر سواء كان روبنز أم رمبراندت أم فيلاسكبيث تأخذه يقظة الحاسة البصرية نحو البحث في اللون والنور والظلال التي تختفي معها معالم الأشكال التي تؤكد لوحات عصر النهضة ، وتسبح الأحجام في عالم من النور يخفي ثقلها وركيزتها المؤكدة في الأعمال السابقة . وتتجه براعة الفنان إلى إحداث تأثيرات واقعية على الرائي من خلال استخدام العناصر الطبيعية للإيحاء بملامس الأجسام والأشياء وخاماتها المختلفة .

ولقد كانت الأراضي الواطئة بإقليميهما الشمالي " هولندا " والجنوبي " الفلاندر " مركزاً من مراكز الإشعاع الفني في القرن السابع عشر ، أمد الإنسانية بأفراد من أعظم عباقرتها ، وكانت عبقرية الأراضي الواطئة عبقرية تصويرية قدمت للعالم رمبراندت وفرمير إلى جانب فرانز هالز ومجموعة الأساتذة الصغار الهولنديين .

وحتى تتم هذه الدراسة من هذا البحث بثلاث مراحل أساسية ، المرحلة الأولى : تناول دراسة عن ما سبق عصر الباروك ، في محاولة لتوضيح التحولات الفكرية التي حصلت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في أوروبا ، ودراسة عن الملامح والأفكار التي سبقت القرن السادس عشر ومهدت له .

وقد بدأت الدراسة كمقدمة عن عصر النهضة الإيطالي صعوداً حتى عصر الباروك ، وقد وجد أن الفن كان قبل مجيء عصر النهضة فناً دينياً كنسياً لارتباطه الشديد بمؤسسات الكنيسة ، وهيمنتها عليه ، وكانت الكنيسة في أساسها تنفر من كل ماهو وثني ، بل وتعارض إظهار مباحج الحياة في الأرض ، والدعوة إلى ملذاتها ، لأن الكنيسة ترى في مثل هذه الحياة المؤقتة ، مرحلة

تقود الإنسان إلى حياة حقيقية يجب أن يعمل لها الإنسان حتى ينعم بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة .

ومن هنا كان على الفن في تلك الفترة مسائراً هذه الأفكار والانجراف في تيارها , فظلت الموضوعات الفنية محصورة في تصوير النزعات السامية وتمجيد حياة القديسين والرسل , وإبراز قصص وحكايات استشهادهم , والتركيز على تجسيد طهارة مريم العذراء , ومعاني الكتاب المقدس , بل ما يحويه من فضائل دينية , كل ذلك في إطار لوني يدخل البهجة على النفس مع إسراف في استخدام اللون الذهبي . وهكذا كانت حال التصوير قبل النهضة .

وعندما جاء عصر النهضة بإنسانيته , فسقطت كل الأقنعة التي كانت تحجب أنظار الفنان , فاستطاعت عينه المتحررة اختيار المناظر الطبيعية , ومظاهر الحياة اليومية جنباً إلى جنب مع الموضوعات الدينية .

لقد أصبحت الحرية التي يتمتع بها الفنان في اختيار موضوعاته وأسلوبه جعلت النظرة إليه تختلف كثيراً عن العصر الوسيط , فبعد أن كان حرفياً أصبح فناناً مبدعاً , وقد ظهرت رياح التغيير أول ما ظهرت في الفن الإيطالي الذي وصل إلى قمة تطوره وازدهاره , بل أصبح العصر الذهبي للفنون التشكيلية , وفيه ظهر وعاش عباقرة , اعتبرهم العالم أعظم الأساتذة على مر التاريخ .

ومع نهايات هذه الفترة , اعتقد الفنان أنه قد وصل إلى منتهاه , وأن المشكلة دانت له بانتصاره على عنصر الضوء وواقعيته .

لقد تشعبت المشكلة التي تم حلها إلى شقين , احتار بينهما الفنان , وأخذ يسأل نفسه , هل أنمي عنصر الضوء وأركز عليه وحده , وأظل أعمل على تطويره حتى أصل به إلى النهاية مضحياً بالشكل والتجسيم , ومغفلاً الإحساس بالحجم والمادة ؟ أم أهتم بالشكل كأساس وأجعل الضوء مكماً وتابعاً له ؟

لم يجد فنان القرن السادس عشر إجابة حاسمة لهذا السؤال , فترك المشكلة برمتها لفنان القرن السابع عشر , الذي سعى جاهداً للإجابة على كل هذه التساؤلات .

وتمر نفس المرحلة (المدخل) بالمتغيرات التي جددت على الحياة في عصر الباروك ،

حيث تناولت عصر الباروك من حيث معنى الباروك ، وتاريخ الباروك ، وعوامل ازدهار فن الباروك ، وخصائص فن الباروك ، والقيمة الحركية للمكان في فن الباروك ، ونظرة عصر الباروك إلى العالم ، وأثرها في تناول المكان .

وتبع ذلك دراسة مبسطة عن بعض رواد المدرسة الباروكية . ومنهم "بيتر بول روبنز" ، "فرانس هالس" ، و"أنطوان فان ديك" ، و"كارافاجيو" ، و"بيتر لويس لوناين" ، و"ميراندت فان رين" ، و"جيان لورنز" ، و"برنيني جاكوب جوردانز" .

كذلك عبر فنان الباروك عن اتساع نطاق العالم , وإحساس الناس بضخامته , واتساعه , على ضوء الأدوات والأجهزة التي وسعت الأبعاد العلمية ونطاق الرؤية .

وقد رفض الإنسان الاكتفاء بأن يكون مجرد جزء ضئيل في هذا الكون ، وهذا الاهتزاز في مكانته أدى إلى أن يكون رد الفعل هو اهتمام أكثر بالفرد ، ليصبح محور الفلسفة والعلم والفن .

وفي المرحلة الثانية من البحث تم تناول القيم التعبيرية والرمزية للضوء وفن التصوير الهولندي ، وقد كان ذلك على محورين : الأول دراسة عن دراما الضوء ، حيث عالم الضوء ، والفرق بين كلمة الضوء وكلمة النور ، من حيث أن الضوء من الشمس أو أى مصدر ضوئى مباشر ، أما النور فهو انعكاس للضوء ، وتم دراسة خصائص كل من الضوء والنور ، الفرق بين تأثير كل من الضوء والنور على الأشياء ، ولغة الضوء وتأثيرها على الإنسان ، والهدف من دراسة القيم التشكيلية والدرامية للضوء في العمل الفني من حيث :

- ١- ما هو دور كل من اللون أو الضوء في عملية الخلق الفني ؟
- ٢- ما هو المردود البصري عندما يتزاوج العنصران بطريقة مدروسة .
- ٣- أثر الضوء في الصورة البصرية، ومدى ارتباط العمل الفني بالضوء .

فالكون في الأصل ظلام ، وضوء الشمس هو الذي يزيح هذا الظلام وينير الكون فالشمس هي مصدر الضوء الرئيسي ومصدر من مصادر الحياة على الأرض وبدونها ما كانت الحياة ممكنة على هذا الكوكب .

وحاسة الإدراك البصري عند الإنسان لا تستطيع أن تبصر بدون الضوء فالضوء هو الشرط الأساسي لكي يدرك الإنسان بصرياً العالم المحيط به والإنسان العادي يحصل على تسعين في المائة من أغلب المعلومات التي تصل إليه عن طريق البصر .

والضوء هو العنصر الأساسي لتحقيق الصورة الضوئية ويتوقف الشكل الفني للصورة على مدى استخدام الضوء في التعبير عن الموضوع .

كما تم البحث في الرمزية الكامنة في الإضاءة والظلال ، حيث تلعب الإضاءة دوراً هاماً في تحقيق الغايات الفنية التي يطلبها الفنان التشكيلي، ونلخص هذه الغايات فيما يلي :

- التعاون مع عوامل أخرى لتحقيق السيادة للموضوع الرئيسي .
- التعاون مع عوامل أخرى لتحقيق التوازن .
- التعاون مع عوامل أخرى لتحقيق التأثير الدرامي .
- التعاون مع عوامل أخرى لإثارة الإحساس بالعمق الفراغي .

والمحور الثانى يتناول التصوير الهولندى ، مبتدئاً بمقدمة عن فن الأراضي الواطئة ، ثم تأثير الحروب الدينية و المنازعات السياسية على الفن الهولندي وطبيعة الموضوعات الهولندية مع بدايات القرن السابع عشر ، ثم أساليب الفن الهولندي ، والاقتصاد الهولندي ، والحياة والأدب في هولندا ، وانتهاء بالفنون الهولندية .